

# تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 05- سورة آل عمران | الآية 211

عبدالرحمن العجلان

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. حسبك هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران جاءت بعد قوله جل وعلا لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصر ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس - [00:00:00](#)

الآية هذا من تمام البشارة من الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم المؤمنين لأن اليهود وإن أظهروا العدا فإنهم مغلوبون مقهورون قد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وقال في الآية التي قبل هذه لن يضروكم إلا أذى. لا يستطيعون - [00:00:42](#)

ضرركم إلا مجرد أذى باللسان وإلا فلا تخافوا منهم ولا من مقابلتهم لأنهم إن قابلوكم انهزموا. ولا يصمدون أمامكم أبدا. لأن الله جل وعلا قد ظرب عليهم الذل هو الضعف - [00:01:44](#)

أينما ثقفوا أينما وجدوا فهم مضروب عليهم الذلة. يقال ظرب الأمير بيد من حديد على كذا يعني أكد الأمر وقواه فهو مضروب عليهم في الذلة دائما وأبدا. دائما وأبدا ذلة - [00:02:19](#)

ما يستطيعون أن يصمدوا ولا أن يأمنوا إلا بحبل منه من الله وحبل من الناس. ما يستقرون ولا يأمنون بهم أو لمالهم أو لكثرتهم أبدا. وإنما إذا أمنهم الله جل وعلا وأمنهم المسلمون بأخذ الجزية منهم. وبذل - [00:02:57](#)

سهام من قبلهم عن يد وهم صاغرون. أو أمنهم أحد من المسلمين حتى ولو امرأة. كالأسير والمعاهد والمعطى له عهد لغرض من الأغراض فهم لا يأمنون ولا يستقرون ولا يستريحون. لذاتهم. وإنما - [00:03:37](#)

ما يحصل لهم هذا إلا من قبل من قبل الله جل وعلا ومن قبل المسلمين ضربت عليهم الذلة. جعلت عليهم الذلة والمهانة وتجد الواحد منهم ذليل حتى وإن كان ذا مال كثير - [00:04:21](#)

وذا ولد عديد. فهو ذليل. حتى غنيهم مثل فقيرهم في أينما سقفوا أينما وجدوا. أينما كانوا. فهم لا يأمنوا ولا حتى في أوطانهم. في أماكنهم الخاصة ما يأمنون ولا يستقرون ولا يستريحون - [00:04:51](#)

إلا بحبل من الله. يعني أمان من الله. على يد رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إذا أعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الأمان أو أعطاهم العهد أو جعل لهم ذمة فيدفعون الجزية - [00:05:21](#)

كما قال الله جل وعلا عن يد وهم صاغرون فيأمنهم الله جل وعلا بما بذلوا من الجزية عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أو عن طريق إمام المسلمين وحاكمهم. إلا بحبل من الله - [00:05:52](#)

وحبل من الناس. والمراد بالناس الرسول صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه وقد يكون والله أعلم لغير المسلمين كما هو حال كثير منهم اليوم فهم مسيطر عليهم النصارى. وليس لهم نفوذ - [00:06:22](#)

ولا قدرة إلا بتمكين النصارى أو باعانتهم. فهم منذ وجدوا وهم إما يخضعون للمسلمين أو يخضعون للنصارى ولهذا قال جل وعلا وحبل من الناس. ولم قل من رسوله ولم يقل من المؤمنين لأنه والله أعلم يشمل المسلمين وغيرهم فاليهود - [00:06:52](#)

ما يستقيمون ولا يستقرون إلا معاونة غيرهم لهم وحبل من الناس وفاء. رجعوا بآء بمعنى رجع بآء بغضب من الله رجعوا بغضب من الله. فالله جل وعلا غاضب عليهم وهم المغضوب عليهم في قوله تعالى أهدنا الصراط المستقيم - [00:07:22](#)

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وهم اليهود ولا الضالين وهم النصارى فغضب الله عليهم دائما وأبدا إن لم يؤمنوا

بمحمد صلى الله عليه وسلم. اما اذا امنوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. كمن اسلم من اليهود وهم قلة كعبد الله - [00:08:10](#) امنوا سلام رضي الله عنه وغيره من اليهود. وبأؤا من الله قريت عليهم المسكنة. المسكنة اصلح عدم الحركة. وذلك نتيجة الضعف. كانهم يستمرون ضعاف لا صولة لهم ولا جولة بحد ذاتهم. وضربت عليهم - [00:08:50](#) المسكنة كأن قائلا يقول لم يا ربي هذا ضربت عليهم الذلة. وباعوا بغضب من الله. وضربت عليهم المسكنة قال تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله السبب جاء من قبل انفسهم. كفرهم بايات الله جعل - [00:09:29](#) هم يستحقون هذا العقاب الديوي مع العقاب الاخروي ذلك بانهم يكفرون بايات الله. ايات الله يجوز ان يراد بها القرآن فهم كفروا بالقرآن ويراد بايات الله الايات الدالة على الله تبارك وتعالى من ايات الله بعث محمد صلى الله عليه وسلم - [00:10:09](#) من ايات الله الايات الكونية الايات التي اوجدها الله جل وعلا علامة على وجود وقدرته سبحانه كالشمس والقمر والسماء والارض وهم كفروا بايات الله القرآن وكفروا بايات الله محمد صلى الله عليه وسلم - [00:10:49](#) وكفروا بالاسلام مع علمهم بان هذا حق. لانهم كما قال الله جل وعلا عنهم يعرفونه اي محمد صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناهم. يعرفون ان محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وان القرآن كلام الله وانه حق وانه يدعو الى - [00:11:19](#) حق وقد اخذ عليهم العهد على ابائهم واسلافهم من قبل انبيائهم بان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث. ذلك فبانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق - [00:11:49](#) ان قتلوا عددا من الانبياء. ولا يبالون بقتل الانبياء. والقتل من حيث هو محرم. وقتل عباد الله اشد تحريم. وقتل رسل الله اشد واشد بان الرسل عليهم الصلاة والسلام خير محض. لا شر فيهم ابدا - [00:12:19](#) والواجب في حقهم ان يسمع لهم ويطاع. وان يتبعوا وان يناصروا وان يعذر وان يصدقوا لكن هؤلاء قابلوا ما يجب عليهم نحوهم من الخير قابلوه الشر والعياذ بالله. ويقتلون الانبياء بغير حق. يعني بغير تأويل - [00:12:49](#) هم يعرفون انهم رسل الله ما قتلوهم جهلا بحالهم وانما عنادا ومكابرة. ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا بانهم اكلهم في المعصية والمرء اذا وقع في معصية واكثر منها اعمى الله بصيرته. وجعل الله الحق عنده ضلال - [00:13:22](#) وجعل الله عنده الضلال حق. فاتبع الضلال وترك الحق والعياذ بالله لانه كما جاء ان المعصية تجر الى المعصية الاخرى. والحسنة اذا بذلها العبد تجر الى الحسنة الاخرى. ومن علامة قبول الحسنة ان يوفق العبد - [00:14:02](#) بحسنة اخرى ومن علامة عقوبة السيئة ان يبتلى بسيئة اخرى والعياذ بالله فالاكثار من معاصي الله يجعل العبد ينهمك في المعصية ويستمرئها ويقبلها ويستحسنها ويدافع عنها وهذا من الله جل وعلا. بشارة لعباده بانها - [00:14:32](#) بان اليهود مغلوبون على كل حال. وتحذير من الله جل وعلا لعباده ان يسلكوا مسلكهم. ولذا قال بعض السلف ان فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود. ومن فسد من عبادنا - [00:15:12](#) ففيه شبه من النصارى. وذلك ان اليهود فسدوا مع ان عندهم العلم والنصارى عبدوا الله على جهل وظلال يعود عندهم العلم والمعرفة وكفار قريش يرجعون اليهم ويستفتونهم وهم يتوعدون الاوس والخزرج جيرانهم بانه قد ان - [00:15:42](#) اوان مبعث نبي فاذا بعث اتبعناه وقتلناكم معه فقطينا عليكم وسمع بذلك الاوس والخزرج فلما تيقنوا ان هذا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم اتبعوه واما اليهود فكانوا يتوعدون به ثم لما بعث انكروا - [00:16:22](#) حسدا وبغيا والعياذ بالله. فهم ذو حسد وبغض وكراهية وقت للخير كله لا يريدونه وانما يريدون الشر والسوء. ويتأذى الصلح معهم حتى وان حصل وقت فانهم لا يستمرون عليه كما فعلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم - [00:16:52](#) تعاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم. بانه لا بانهم لا يقاتلونه. ولا يحرضون على وانه ان جاءه عدو من الخارج عاونوه على قتاله. فنقضوا هذا كله. وحرض الاعداء وخرجوا مع الاعداء ولكنهم تبنا ما استطاعوا مجابهة النبي - [00:17:22](#) الله عليه وسلم كما ان في هذا تحذير لهذه الامة عن الوقوع في المعصية والاكثار منها لانها تعمي وتضم. وتجعل الانسان في ظلام وحيرة والعياذ بالله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. يعني يتجاوزون الحد - [00:17:52](#)

بالظلم والعدوان ما كانوا يقتصرون على حقهم وانما يتجاوزوه ويظلم الناس ظل عدوانا وظلما وبهتاً. فهم اصحاب ظلم بالنسبة للحيل والمكر. والخديعة وليسوا شجعان في الحرب والمقابلة وانما بالكيد والدسيسة كما فعل اسلافهم مع النبي - [00:18:22](#) صلى الله عليه وسلم. وكما هو فعلهم وديدهم دائماً وابدأ. اقرأ يقول تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس اي الزمهم الله الذلة والصغار اينما كانوا فلا يؤمنون الا بحبل من الله اي بذمة من الله - [00:19:02](#) وعقد الذمة لهم وظلم يعني اذا كان لهم عهد وامان من ولي امر المسلمين بدفعهم الجزية. او امن احدا منهم لغرض من الاغراض. نعم وضربت عليهم وضرب الجزية عليهم والزامهم احكام الملة وحبل من الله وحبل من الناس - [00:19:32](#) اي امان منهم لهم كما في المهادن والمعاهد والاسير. اذا امنه واحد من المسلمين ولو امرأة قال ابن عباس رضي الله عنه الا بحبل من الله وحبل من الناس اي بعهد من الله وعهد من الناس - [00:20:02](#) وقوله تعالى وباءوا بغضب من الله اي اول الزموا الزموا التزموا بغضب من الله وهم يستحقون هنا وضربت عليهم المسكنة اي الزموا قدرها وشرعا. ولهذا قال تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون - [00:20:22](#) بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق. اي انما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد. فاعقبهم تارك الذلة والصغار والمسكنة ابدأ متصلاً بذل الآخرة ثم قال تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون - [00:20:42](#) انما حملهم على الكفر وايات الله وقتلهم رسل الله وقيدوا لذلك انهم كانوا يكثررون العصيان لاوامر الله والاعتداء في شرع الله فعيذا بالله من ذلك؟ والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك - [00:21:02](#) على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - [00:21:22](#)